

حتمية الموت ومواجهته في ديواني المعبد الغريق ومنزل الأفتان للشاعر بدر شاكر السياب

فاطمة صباح منصور
وسن عبدالغني مال الله المختار
جامعة الموصل- كلية التربية للبنات- قسم اللغة العربية
(قدم للنشر في ١٤ / ٣ / ٢٠٢٢، قبل للنشر في ٢٥ / ٤ / ٢٠٢٢)

الملخص

يهدف هذا البحث إلى تسليط الضوء على موقف السياب من حتمية الموت ومواجهته في ديواني المعبد الغريق ومنزل الأفتان ، بوصفه من أهم الموضوعات التي وقف عندها السياب بحكم مرضه الذي قضى فيه ، إذ توجد شواغل عديدة تتنازع ، إنسانية ، ووجودية ، بينت لنا موقفه ورؤيته من الموت بوصفه الحقيقة الوجودية ، ولذا تنوع موقفه من الموت على ثلاثة محاور أساسية هي: (الاستسلام للموت ، والإقبال على الموت، ومواجهة الموت)، وقد انطلقنا فيها من مبدأ فلسفي اعتمداً على آراء النقاد والفلاسفة ، معتمدين المنهج التحليلي في بيان موقف السياب ووجهة نظره تجاه حتمية الموت ومواجهته .
الكلمات المفتاحية : الموت ، المعبد ، الأفتان ، حتمية ، الخلود، شوبنهاور

Death inevitability and confrontation in Al-sayyab's 'Al-ma'bad Al-ghariq' and 'Manzil Al-aqnan'

Fatima Sabah Mansoor Wasan Abdulghani Al-Mukhtar
University of Mosul-College of Education for Girls- Department of
Arabic Language

Abstract

The current research aims to shed light on Al-sayyab's attitude towards death inevitability and confrontation in his 'Al-ma'bad Al-ghariq' and 'Manzil Al-aqnan' , as it is one of the most significant themes tackled by the poet due to his long-term illness. Al-sayyab was overwhelmed by many humanistic and existential issues, which illustrate his attitude and vision on death being an existential reality. Therefore, his position on death varied on three main axes : (surrendering to death , turning to death , and facing death) . We proceeded in it from a philosophical principle based on the opinions of critics and philosophers, adopting the analytical method in explaining Al-Sayyab's position and viewpoint towards the inevitability of death and confronting it .

Keywords: death, temple, serfs, inevitability, immortality, Schopenhauer

توطئة :

تعد قضية الموت ظاهرة مهمة وبارزة في الشعر العربي بصورة عامة ، فهو حقيقة الوجود الكبرى ، ويأتي الإنسان إلى الحياة ومعه قدره المحتوم (الموت) ، وهذا ما يجعله متقلباً بين حالات متناقضة ، فيصير من سعادة إلى شقاء ، ومن اطمئنان إلى قلق وتوتر ، ومن فرح إلى حزن ، كلما اعترته لحظات النظر في النهاية المحتومة ^(١) .

ويعرف الموت اصطلاحاً بأنه " حالة توقف الكائنات الحية نهائياً عن النمو والاستقلاب والنشاطات الوظيفية والحيوية كالتنفس والأكل والشرب... إلخ ، إذ لا يمكن للأجساد الميتة أن ترجع لمزاولة النشاطات والوظائف الأنفة الذكر " ^(٢) .

لذا نجد أنه لم يلهب خيال الإنسان فكرة كما ألهبته فكرة الموت ، فنراها الفكرة الوحيدة التي تثير عقله في الوجود ، لذلك فـ " علاقة الإنسان بالموت علاقة حياة وإثبات أحدها يغني في الوقت نفسه عن إثبات الآخر ، وهذه العلاقة الجدلية تمنح الإنسان فرصة إدراك النقيض ، فتبقي رغبته في الحياة أكثر حضوراً واستحواذاً على مشاعره وفكره ، لأنه يعرف أن الموت قضاء على ما لا يعرفه ، حتى وإن مارست الحياة قسوتها عليه " ^(٣) ، فالموت والحياة وجهان لحقيقة واحدة تعكس قانون الطبيعة الأزلي ، ويلحظ من الناحية الوجودية أن الموت فعل فيه قضاء على كل فعل ، وأنه نهاية للحياة ، قد تكون هذه النهاية بمعنى انتهاء الإمكانيات ، وبلوغها حد النضج والكمال ، إذ يقال عن ثمرة من الثمار إنها بلغت نهايتها ، بمعنى تمام نضجها و استنفاد إمكانيات نموها ، وقد تكون هذه النهاية بمعنى وقف الإمكانيات عند حد ، وقطعها عند درجة مع بقاء كثير من الإمكانيات غير متحقق بعد ^(٤) ، لذا سيكون الموت بذلك حالة من حالات الحياة ، حالة ضرورية تكون فيها الحياة منذ البدء ، لذا فقد "عرف الإنسان القديم قوة الموت القاهرة ، فراح يتصور النهاية المأساوية التي سيؤول إليها أجلاً أم عاجلاً باعتبار الموت ذلك الشيء الرهيب المخيف" ^(٥) ، الذي يعد " نروة الحياة وقمة اكتمالها ، بوصفه آخر المحن التي يتعرف لها الإنسان وأشدّها قوة والاختبار الحقيقي لقيّمته " ^(٦) .

(١) ينظر : تراجيديا الموت في الشعر المعاصر ، عبدالناصر هلال : ١٣ .

(٢) المعجم الفلسفي ، مصطفى حسيبة : ٦٠٩ .

(٣) تراجيديا الموت : ١٥ .

(٤) ينظر : الموت والعبقريّة ، عبد الرحمن بدوي : ٥ .

(٥) دلالات الموت في الخطاب الشعري الجزائري المعاصر فترة التحولات ١٩٨٨ - ٢٠٠٠ ، رسالة ماجستير ، حياة هروال بإشراف د. جميلة قيسمون ، كلية الآداب واللغات ، قسم اللغة العربية وآدابها ، جامعة منتوري - قسنطينة ، لسنة ٢٠٠٩م : ٢٢ .

(٦) ينظر : الموت في الفكر العربي ، جاك ورن ، تر : يوسف حسن : ٣٤ .

ولقد شغل موضوع الموت كذلك حيزاً شاسعاً لدى الفلاسفة الغرب وتنوعت رؤاهم حوله ، ف(سقراط) (ت ٣٩٩ ق.م) مثلاً يجد أن الموت قد يكون حيزاً من الحياة، فالإنسان مخلوق وممتناه وعابر ، لكن عظمته تتمثل في تقبله لوضعه الإنساني بحس المسؤولية وبقوة عارمة للشخصية في مواجهة الموت ^(١) ، أما (أفلاطون) (ت ٣٤٧ ق.م) فيرى أن الموت هو انعتاق النفس من الجسد فهو يصورها كما لو كانت سجيناً، وبوسعها الهرب عند الموت ^(٢) ، أما (أرسطو) (ت ٣٢٣ ق.م) الذي يعد من تلامذة أفلاطون فهو لا يتابعه في خلود النفس فحسب وإنما يؤكد كذلك على وجود النفس السابق في البدن ، وانتقاله من جسم لآخر ، ثم ينتقل من خلود النفس إلى خلود العقل، لأن العقل لا يفنى بل يطلق سراحه . ^(٣)

لقد حار الجاهليون كغيرهم " في تفسير ظاهرة الموت، وكيفية وقوع الموت وحدثه، وقد اعتبره بعضهم حدثاً طبيعياً، يحدث للإنسان كما يحدث لأي شيء آخر في هذا الكون من التعرض للهلاك والدمار ، واعتبره بعض آخر، مفارقة الروح للجسد، وهم الذين اعتقدوا بالثنائية وبالازدواجية في حياة الإنسان، أي بوجود جسد وروح، واعتبره آخرون موت للنفس، وبوفاة النفس يتوفى الجسد ويصيبه السكون " ^(٤).

وقد جاء ذكر الموت في الديانة الإسلامية فهو يُعرّف في الإسلام بأنه مرحلة انتقالية من الدنيا إلى الآخرة ^(٥) ، وقد ورد ذكره في قوله تعالى : **چ و و چ و چ** ^(٦) ، فقد أفاض القرآن الكريم في ذكر الموت ، لما له من عظيم الأثر في ترقيق القلوب وتهذيب النفوس، وتمحيص الذنوب، والتزهيد في الدنيا، والعمل للدار الآخرة، فقد ورد لفظ الموت في القرآن الكريم اثنتين وخمسين مرة، في حين وردت مائة وخمس وسبعين آية ذكر الموت في جميع اشتقاقاته ^(٧).

وقد لخص الفلاسفة المسلمون حقيقة الموت بأنه تغير حال فقط، وأن الروح باقية بعد مفارقة الجسد عن طاعتها، فإن الأعضاء آلات للروح تستعملها ^(٨) ، وكذلك يرون بأن " الموت حكمة إذ البقاء الأبدي لا يتيسر إلا بعد حصول الموت ، فالموت سبب الحياة الأبدية ، و الحياة

(١) ينظر : الموت في الفكر العربي : ٤٨ .

(٢) ينظر : م.ن : ٥٣ .

(٣) ينظر : م.ن : ٦١ .

(٤) المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام ، جواد علي : ١١ / ١٢٢ - ١٢٣ .

(٥) ينظر : الموت بين الدين والفلسفة ، عاصف الخالدي، ٤/١٠/٢٠١٨م ، . <https://www.hafryat.com>

(٦) سورة البقرة ، من الآية : ٢٨ .

(٧) ينظر : المعجم المفهرس لمعاني القرآن العظيم ، محمد بسام رشدي الزين : ٢ / ١١٥٣ .

(٨) ينظر : الموت في الشعر العربي الحديث ، أحمد بكري عصلة : ٢٧ .

الدنيا سبب للموت في الحقيقة، إذا الإنسان ما لم يدخل في هذا العالم لا يمكن له أن يموت فإذا وجد الإنسان فتكون حياته سبباً لموته ، وموته سبباً لحياته الباقية أبد الأبدين " (١) .

وقد تحدث كثير من الفلاسفة المحدثين عن مفهوم الموت وبحثوا في مشكلته ، ومن هؤلاء الفلاسفة الفيلسوف الألماني (آرثر شوبنهاور)* (ت ١٨٦٠م) فهو يعد " أول فيلسوف حديث يبحث مشكلة الموت بطريقة نسقية شاملة، وتكتسب آراؤه أهمية خاصة لأنه على الرغم من رؤيته المغرقة في التشاؤم للحياة... إلا أنه يسعى إلى إثبات أن طبيعتنا الحقة غير قابلة للإفناء " (٢) . ويعالج في موضع آخر مشكلة الموت بشكل مفصل من الناحية الميتافيزيقية الخالصة بملاحظة نفسانية تتعلق بالموقف الشعوري الذي يقفه الكائن الحي تجاه الموت، إذ يقول: إن الظاهرة النفسية الخالصة فيما يتصل به هي (الجزع) فكل كائن حي يخشى الموت مهما كانت مرتبته في سلم التصاعد الوجودي ، ويختلف الواحد عن الآخر في معرفته للموت ، فالحيوان يشعر بالجزع من الموت، ولكنه لا يعرف هذا الموت الذي يخشاه ، فالجزع مستقل عن المعرفة ، فالأول مصدره الإرادة ، والمعرفة مصدرها العقل (٣) . وخالصة ما وصل إليه شوبنهاور في معالجته لمشكلة الموت أنه " لا يصيب مشكلة الحياة ؛ وإنما يتعلق بمظاهرها العرضية الزائلة كي يجدها باستمرار ، أما هي فخالدة أبد الدهر "(٤) .

ومن الفلاسفة المحدثين الذين تحدثوا عن فكرة الموت وتعمقوا في دراسته الفيلسوف الألماني (مارتن هايدجر) * (ت ١٩٧٦م) ، الذي يجد أن الموت يخرج الإنسان من وجوده الحالي إلى وجود آخر (٥) ، أي بمعنى أن الموت عنده ليس نهاية للوجود إنما هو بداية حياة أخرى.

(١) موسوعة مصطلحات الفلسفة عند العرب ، جبرار جهامي : ٦٠٣ .

* آرثر شوبنهاور : فيلسوف ألماني ولد في داننزيغ في ٢٢ شباط ١٧٨٨م ، ومات في فرانكفورت - روز - ماين في ٤ أيلول ١٨٦٠م ، والعلامة الفارقة لحياة شوبنهاور هي القوة والسرعة اللتان انفرض بهما عليه دعوته كفيلسوف ثم مذهبه الفلسفي بكامله، وتقسم حياته إلى مرحلتين الأولى: اندفاعه الشباب اللاهبة (١٧٨٨-١٨١٨م)، التي انتهت بإنتاج أثر حياته، والثانية: المجهود الطويل الأمد والقاحل وإنما المتوج بالنجاح في نهاية المطاف، للتغلب على عدم تفهم عصره لفكره (١٨١٨-١٨٦٠م). ينظر: معجم الفلاسفة، جورج طرابيشي: ٤٠٥ .

(٢) الموت في الفكر الغربي : ١٨٩ .

(٣) ينظر : شوبنهاور ، عبدالرحمن بدوي : ٢٣٦ .

(٤) م. ن : ٢٤٥ .

* مارتن هايدجر: فيلسوف ألماني، ولد في مسكرين (بادن) في ٢٦ أيلول ١٨٨٩م، ومات في فرايبورغ في ٢٦ أيار ١٩٧٦م ، يعد واحد من أعظم فلاسفة ألمانيا وربما أهم فيلسوف في القرن العشرين . ينظر : معجم الفلاسفة: ٦٩٤ .

(٥) ينظر: هايدجر والدين السفر في اللغة والسكن إلى جوار الله ، ميرنا سامي ، مجلة الاستغراب ، المركز الإسلامي للدراسات الاستراتيجية ، لبنان ، ع ٥ ، لسنة ٢٠١٦م : ٢٠١ .

وإذا ما أتينا إلى مفهوم الموت في الشعر العربي فنسجد أنه قد استحوذ على مساحة واسعة منه ولاسيما في الخطاب الشعري الحدائي ، الذي " لم يعد يحفل بالثرثاء الذي هو البكاء على الميت وتعداد لخصائله وشمائله الكريمة وصفاته الفاضلة، وإنما أصبح الشاعر الحديث كالشاعر الغربي يتناول فكرة الموت مثلما يتناول فكرة الحب أو الحياة أو التشبث بالوطن أو التعلق بالحرية المفقودة و الكرامة المنشودة " (١) ، مما أسهم في إنتاجية عالية للنص الشعري، " إذ يعد الموت من المفاهيم المهمة التي وظفتها الشعرية للخلاص من الواقع المرفوض، فضلاً عن كونه إحدى المكونات البارزة في النص الشعري" (٢) ، لذا يعد الشاعر " أكثر إحساساً بقضية الموت والفناء، لأنه أكثر تأملاً في الوجود والعدم ، يستبطن الأشياء ، يتغلغل فيها بحثاً عن حقيقتها يتابعها وهي في أوج حركتها وديمومتها، إنه يكسر الحاضر الآني منطلقاً إلى الآتي " (٣) .

وتتولد رؤية الموت لدى الشاعر بطاقته الانفعالية وقد أكدت على ذلك الشيء الشاعرة (نازك الملائكة) إذ تقول: " ومن ثم يتكون في حياة الشاعر الانفعالي مثلث من القيم زواياه الثلاث هي الانفعال والشعر والموت ، فالشاعر يحب الانفعال لأنه يؤدي إلى الشعر ، على أنه يلاحظ أن الانفعال هو الموت ، لأن الأول طريق محتم للثاني ، و من ثم تبدأ مرحلة الغرام بالموت نفسه تقابل الغرام بالشعر ، حتى تصبح الألفاظ الثلاثة في معنى واحد كأنما مرحلة ينعدم فيها الطريق بالغاية ، وحتى ينتهي إليها في وحدة متينة لا انفصام لها " (٤) .

انشغل الشعراء القدماء والمحدثون بقضية الموت باعتبارها قضية المصير الإنساني ، وقد ورد ذكر الموت كثيراً في قصائدهم ، مما يشير إلى قلقهم وانشغالهم به وشعورهم نحوه^(٥)، إذ ظل الإحساس بالموت يلزم الإنسان ، والشعراء كما هو معروف من أشد الناس إحساساً بالفجعة ، وأعمقهم تأثراً بمأساة الموت، ولاسيما أولئك الذين لازمهم لسبب أو لآخر شعور بقرب المنية (٦) ، وراود كثير من الشعراء ذلك الشعور وهم في مقتبل عمرهم وترجموا ذلك في أشعارهم كالشابي والهمشري وأحمد عبد المعطي حجازي والشاعر البريطاني كيتس والإيرلندي بروك ، فقد كانت رؤية هؤلاء الشعراء تتفاوت ما بين الواحد والآخر ، وقد أفردت الشاعرة (نازك الملائكة) فصلاً

(١) مدخل لدراسة الشعر العربي الحديث ، إبراهيم خليل : ٣٠٥ .

(٢) ثنائية الحياة والموت في كتابات تيسير سبول ، أمينة خليف محارب القضاة ، رسالة ماجستير ، بإشراف أ. د. عبدالباسط أحمد مرشدة ، كلية الآداب والعلوم الإنسانية ، جامعة آل البيت ، لسنة ٢٠١٧م : ٦ .

(٣) تراجم الموت في الشعر العربي المعاصر : ١٦ .

(٤) قضايا الشعر المعاصر : ٣١٥ .

(٥) ينظر : تراجم الموت في الشعر العربي المعاصر : ١٧ .

(٦) ينظر: السياب والموت، سامي مهدي، مجلة الآداب ، بيروت ، لبنان ، مج ١٣ ، ع ٤٤ ، لسنة ١٩٦٥م : ٤٤ .

كاملاً في دراسة لها بينت فيها رؤية كل واحد من هؤلاء الشعراء للموت وما الذي دفع كل واحد منهم لتناوله في شعره (١) .

ولعل من أهم هؤلاء الشعراء (السياب) الذي لا تكاد تخلو قصيده من قصائده إلا وذكر الموت فيها، ولاسيما القصائد التي كتبها في فترة المرض، إذ شكل الموت عنصراً محورياً وأخذ مساحة واسعة في تشكيل رؤية السياب الشعرية ولاسيما في قصائده التي كتبها في السنوات الأخيرة من حياته ولاسيما في ديواني (المعبد الغريق ومنزل الأفنان)، وكما نعلم فإن السياب ليس الشاعر الوحيد الذي تناول مسألة الموت، إذ يوجد كثير من الشعراء قد تناولوا هذه المشكلة الوجودية المعقدة ، ولكن أخذ السياب منحاً خاصاً به إذ " إن موقفه من الموت فريد حقاً ، كان السياب يشعر دائماً بقرب منيته ، وكان هذا الشعور يعذبه كثيراً و ينغص عليه حياته حتى ولد لديه عقدة نفسية فظيعة " (٢)، فقد كان الموت هاجساً ملازماً للسياب في سنواته الأخيرة، فقد تناول السياب المسألة الوجودية للموت بما يليق بها من قلق وجودي، وقد أفضى هذا القلق إلى مقاربات مختلفة في التعاطي مع الموت فضلاً عن أمر مهم أيضاً يتجسد أمامنا كثيراً هو أن الموت يأتي في ثنائية (الموت/ الحياة) بمعنى أن السياب تعاطى مع الموت وهو يحب الحياة و يتشبث بها بقوة. يمكننا أن نجمل مقارباتنا لموقف السياب من الموت في رؤيته الشعرية في ثلاثة محاور هي الاستسلام للموت ، والاقبال على الموت ، ومواجهة الموت :

١ - الاستسلام للموت :

يتجلى الموت عند السياب بوصفه حقيقة خالدة وحتمية لا يمكن تجاوزها ، إذ يفنى كل شيء وهذا يحيلنا إلى نظرية العود الأبدي التي ترى أن الزمان مقسم إلى دورات " وكل دورة من هذه الدورات في تكرار تام للدورة السابقة عليها ، ولا اختلاف مطلقاً بين الواحدة والأخرى ، فكأن الوجود كله صورة واحدة تتكرر بلا انقطاع في الزمان اللانهائي ، كل شيء يغدو وكل شيء يعود وإلى الأبد تدور عجلة الوجود، كل شيء يببىد، وكل شيء يحيا من جديد، وإلى الأبد تسير سنة الوجود" (٣) ، إذ يقول السياب في قصيدته (نداء الموت) التي يخيم الموت على كل تفاصيلها (٤):

ولا شيء إلا إلى الموت يدعو ويصرخ، فيما يزول،
خريف ، شتاء ، أصيل ، أفول.

(١) ينظر : قضايا الشعر المعاصر : ٣٠٤ - ٣١٥ .

(٢) السياب والموت : ٤٤ .

(٣) موسوعة الفلسفة : ٢ / ٥١٥ .

(٤) الأعمال الشعرية الكاملة : ١٤٤ .

وباقٍ هو الليلُ بعد انطفاء البروقِ

وباقٍ هو الموت ، أبقى ، وأخذ من كل ما في الحياة .

فيا قبرها أفتح ذراعيك..

إني لآتٍ بلا ضجةٍ ، دون آه!

يقر الشاعر بحتمية الموت ، فكل شيء يدعو إلى الموت وسوداوية العالم المحيط به وأن تعاقب الفصول والليل والنهار ما هو الا تكرار متواصل غير متناه مثله في ذلك مثل الموت الذي سيكرر أبدا ضمن مبدأ الحتمية من منطلق لا جديد تحت الشمس فحركة الزمن تسير نحو الموت " هذا التسليم المطلق للموت-العدم ، جعله يودع الحياة في كل قصيدة، ودفعه إلى تأكيد فاجعته بعمق فاعل، حتى غدا من يقرأ شعره في هذه الفترة يحس بحرارة عذابه ، وعظم معاناته وسكراته، إذ أصبح نبض قصائده قائماً على الموت وحده، يقاومه بروح مستسلمة ، ويتحدث عن بقاءه وأزليته بصوت باكٍ، ويتأسى بموت أمه واللاحق بها بكبرياء مقنع"^(١) ، ففي النص ملمح للعود الأبدي ولكنه عود جزئي لأمه لأنها مصدر الخصب عنده ،فهنا يتحقق انكسار البطل .

وقد يكون هذا الاستسلام نتيجة للخوف من الموت الذي سرق منه محبيه ، أمه وجدته ووفيقه ، فهو صاحب تجربة أليمة مع الموت، فضلاً عن مرضه ، لذا ظل يطارده ويخيفه ، ويتحول لديه الأشياء الأليمة الحبيبة إلى صور قاتمة لا يجدها إلا في الموت ، وتتجسد علاقة الشاعر مع الموت بالشخص الميت ومدى قربه منه .

ومن البواعث التي دفعت الشاعر إلى التسليم بالموت والاستسلام له مرضه ، إذ " إن مرض السياب وحده هو الذي ينهض بعبء وضع صورتني الحياة والموت وجهاً لوجه في إطار تقابلي متصارع في مخيلة الشاعر وفي واقعه ، إذ هو المعين الذي ينضح آلاماً مضاعفة ومتنامية مع الزمن ليس مصدرها الانهزام المؤلم أمام الموت فقط ، وإنما الإحساس المميت بفراق الحياة رغماً عنه ...، ومن ثم كان شعر السياب في مرحلته الأخيرة ... يصور في صدق آلام المرض ، ولحظات تطوره وموقف الشاعر من الحياة والموت الذي أصبح ينتظره ويسعى إليه تخلصاً من آلامه اللعينة " ^(٢) ، فيقول في مطلع قصيدته(الوصية) ^(٣) :

من مرضي

من السرير الأبيض

(١) الأسطورة في شعر السياب ، عبد الرضا علي : ١٨١ .

(٢) الموت والميلاد دراسة في شعر السياب ، عبدالرحمن عبدالسلام محمود : ٢٣٥ .

(٣) الاعمال الشعرية الكاملة : ١٣٤ .

من جاري أنهار على فراشه و حشرجا
يمص من زجاجة أنفاسه المصفره ،
من حلمي الذي يمد لي طريق المقبره
والقمر الریض والدجى ..
أكتبها وصيةً لزوجتي المنتظره

يصف الشاعر فيما تقدم حاله في المرض، ومن سريره الأبيض الذي يوحي بدلالة الكفن ،
فعلى الرغم من دلالاته على الصفاء والنقاء لكنه يستعمل كفنًا للميت أيضا ^(١)، وتوظيف الشاعر
له يوحي على استسلامه القاطع للموت، فحتى حلمه - إن كان له أن يحلم - يمد له طريقا إلى
المقبرة ، وتخشى الذات الشاعرة حتى النوم الذي يعد كابوساً له سينتهي به إلى المقبرة لا محالة،
فهاجس الموت معه ويلاحقه دائما وأبدا، لذا ، وليس أدل من ذلك إلا عنوان القصيدة (الوصية)
التي يتشح عنوانها بوشاح الاستسلام للموت .

ولاسيما في بدء المقطع الذي يصف فيه الضباب الذي لونه باللون الأصفر دلالة على
مرضه الذي قضى فيه، إذ يقول ^(٢) :

أخاف من ضبابه صفراء
تنبع من دمائي
تلفني فما أرى على المدى سواها
أكاد من ذلك لا أراها ،
يقصّ جسّمي الذليل مَبْصَعُ
كأنه يقصّ طينةً بدون ماءٍ
ولا أحس غير هبة من النسيم ترفعُ
من طرف الستائر الضبابِ
ليقطر الظلامُ لستُ أسمعُ
سوى رعودٍ رنّ في اليبابِ
منها صدى وذاب في الهواءِ ..
أخاف من ضبابه صفراء !
أخاف أن أُزلق من غيبوبة التخديرِ
إلى بحارٍ ما لها من مرسى

(١) ينظر : اللغة واللون، أحمد مختار عمر : ١٦٤ .

(٢) الأعمال الشعرية الكاملة : ١٣٥ .

وما استطاع سندباد حين أمسى

فيهنَّ أن يعودَ للعود وللشراب والزهور ،

ويكون الضباب بطبيعة الحال أبيض اللون ، وتتعدم بوجوده الرؤية أو تضعف ، ولكن وصف الشاعر له بالاصفرار دلالة كناية على شدة المرض والسقم الذي سيطر عليه، وما يصحبه من الشحوب والنحول ، وهي أمور توحى بالضعف والانكسار والحزن ، والاستسلام للموت، فاللون الأصفر يدل على " المرض والذبول " (١) ، والشاعر كرر البيت في المقطع ذاته أكثر من مرة ، ورأيناه يصور الحالة التي ربما ينزلق منها إلى الموت والآخرة برمز السندباد (عوليس) " فالسندباد الذي كان يعود ظافراً كل مرة من مغامراته في البحار الدنيوية لم يستطع أن يعود حين علق في شباك بحر الموت ، ويخشى الشاعر أن ينزلق إليها مثله " (٢) من خلال رؤيته التي استمدها من لحظات الغيبوبة التي قد مر بها مراراً ، وكثيراً ما تبدأ عادةً بجو ضبابي أصفر يحس فيه المريض قبل أن يدخل في الغيبوبة ، ويقدم الشاعر صورة مشهدية اختلط فيها عالم الحلم والغيبوبة لترحل بنا إلى عوالم غامضة ربما هو الموت ، وربما هي هلاوس أو هذيان مريض أتعبه جسده من الآلام المبرحة التي فيه .

ولا يقف الشاعر هنا وإنما يقدم للمتلقي رؤية أكثر تفصيلاً وعمقاً مرتكزاً على المقولة الشعبية التي تصف النفس بأنه (نفس يخرج ولا يعود)، إذ يقول في القصيدة ذاتها (٣) :

ليس سوى انتقاله الهواء

من رئة تغفو إلى الفضاء

ويستغرق في الخوف من الموت ويعطينا صوراً حركية قلما نجدها عند غيره في وصف الموت ، إذ يقول في القصيدة ذاتها أيضاً (٤):

وكيف لو أفقتُ من رقادي المخدِّر

على صدى الصور ، على القيامة الصغيره:

يحمل كل ميِّت ضميره

يشعُّ خلف الكفن المدبَّر،

يسوق عزرائيل من جموعنا الصَّفر إلى جزيره

قاحلة يقهقه الجليدُ فيها ،

يصفر الهواء في عظامنا ويبيكي .

(١) ينظر: اللغة واللون : ٧٤ .

(٢) الرمز الأسطوري في شعر بدر شاكر السياب، على عبدالمعطي البطل : ١٩٤ .

(٣) الأعمال الشعرية الكاملة : ١٣٦ .

(٤) م. ن : ١٣٦ .

ماذا لو أن الموت ليس بعده من صحّوه ،

فهو ظلام عَدَمٍ ، ما فيه من حس ولا شعور !

تغدو صورة يكتنفها شيء من العدمية، إذ يخاف أن تكون عدما ، ويطمح أن تكون هناك حياة أخرى بدلالة نفخة الصور والقيامة الصغرى، التي تنم عن اليأس، فهو يتحدث عن القيامة وهو في الغيبوبة عندما أفاق من رقاده المخدر إلى عالم الصحو ، لكنه ما زال خاضعاً لأثر التخدير فيتصور إن إفاقته هذه هي بعثٌ ونشور بدلالة (وكيف لو أفقتُ من رقادي المخدّر، على صدى الصور، على القيامة الصغيرة) ، ليصور لنا أن قيامته قد حصلت وكيف يحمل كل شخص ضميره أي : صحيفته المدون عليها كل أفعاله ويصور عزرائيل كيف يسوق جموع الأموات بما يحملون من صفرة ألوانهم بشرّةً ووجهاً ، يسوقهم إلى المجهول ، ذ يصف الجزيرة بأنها جزيرة قاحلة يقهقه الجليد فيها دلالة على إحساسه بالخوف من مصيره وما سيؤول إليه حاله، إذ جعل الليل (الظلام) مرادفاً للموت ، " فالظلام والموت سيان ، لأن الموت انقطاع عن البنية الاجتماعية وعزلة قاتلة ، والليل بسدوله يضرب حاجزاً يفصل الشاعر عن أجناس الوجود الأخرى، فكلاهما (الموت والظلام) انقطاع وعزلة عن عالم الحياة ومساراتها وكلاهما عدم" (١) ، بدلالة قوله: فهو ظلام عدم ، ما فيه من حس ولا شعور !

ويختم هذه القصيدة باستسلام واضح للموت والإقرار بقوته وسطوته مرة أخرى قائلاً (٢):

إقبال يا زوجتي الحبيبة

لا تعذليني ما المنايا بيدي

ولستُ ، لو نجوتُ ، بالمخلد .

بسبب مرضه الذي يسد عليه آفاق الأمل ويحول نظره إلى أفق واحد يتداخل فيه الإحساس بالألم ، وما سيؤدي إليه هذا المرض من نتائج أصبح يعلمها ويدركها، لأنها متصلة بالموت الحتمي الذي استسلم لجبروته وذهب لأبعد من ذلك لإقناع حبيبته بهذه النتيجة المفجعة المخيفة، بدلالة التكرار الذي ورد ، في قصيدته (رحل النهار) ، إذ يقول (٣):

هو لن يعود،

رحل النهار

فلترحلي، هو لن يعود

الأفق غابات من السحب الثقيلة والرعود

(١) وجدان الليل وثقافة النهار قراءة في ديوان المعبد الغريق للشاعر بدر شاكر السياب ، أ.م. د. وسن عبدالغني مال الله المختار ، مجلة أبحاث البصرة للعلوم الإنسانية، جامعة البصرة ، العراق، لسنة ٢٠٢١م: ٥٢.

(٢) الأعمال الشعرية الكاملة : ١٣٦ .

(٣) الأعمال الشعرية الكاملة : ١٤١ .

الموت من أثمارهن وبعض أرمدة النهار

الموت من أمطارهن وبعض أرمدة النهار

الخوف من ألوانهن وبعض أرمدة النهار

رحل النهار

رحل النهار

يؤكد الشاعر في بداية المقطع عدم عودته، إذ يخاطب المنتظرة حبيبته بصيغة الأمر (فلترحلي هو لن يعود) مما يدل استسلامه القاطع للموت فلا جدوى من انتظارها، فكل المظاهر في النص تنذر بالخطر ومنع المجيء، فلا الطبيعة مواتية بما فيها من بحر يمثل عالم التيه ، ولا المطر الذي يدل على الدمار ولا ينتج الحياة ، ولا السحب الثقيلة والرعود فكل الدلالات توحي بالموت والخوف، والموت هنا ليس قبرا بل عالم التيه المخيف بعوالمه الغريبة، فضلا عن الدلالة الانزياحية على مستوى الضمير فالذات الشاعرة في حالة تخارج عن الذات إذ مزج بين حالته والسندباد من جهة وعوليس من جهة أخرى ، ويمر التلقي بمستويين " مستوى أول يدفع المتلقي إلى تأويل يسير فيه خطوط التقاطع بين الأفق باعتباره انفتاحاً على اللانهائي ، والغابات بعوالمها النابضة بالحياة، حيث الخضرة والطبيعة ، لكن هذا المستوى سرعان ما يخبو ويتوارى ليبزغ مستوى ثانٍ حين تستحيل الغابات سحباً مثقلة ومنهكة بالآلام والتيه والاغتراب ، إذ لا يصل الاسماع سوى هدير الرعود والبروق وآهات الموت والخوف والرماد" (١) ، ويحيل توظيف مفردة (الرعود) من الشاعر إلى رمز جوبيتير إله الرعد* الذي يرشق الأرض ببروقه ورعوده عندما يغضب ، الأمر الذي يؤدي إلى الدمار وقتل الكائنات (٢)، ويدل توظيف رمز جوبيتير تعزيز رؤية الشاعر تجاه الموت، فأفقهُ مليءً بغابات من السحب الثقيلة والرعود لذا يكرر بأنه لن يعود ، وتكرار الشاعر لهذا المقطع أكثر من مرة دليل على استسلامه للموت .

ويدفعه ألم المرض إلى استنكار الرموز الدينية والتأسي بها والتصبر فيها أو عسى أن يجد فيها كوة أمل.. ولا أمل في ذلك، إذ يقول في قصيدة (سفر أيوب ٩) (٣) :

وانخطف الموت عليّ كانخطف الباشق

(١) جدلية الحياة والموت في قصيدة رحل النهار لبدر شاعر السياب، عزيز بويغف، مركز جيل البحث العلمي،

<https://jilrc.com> ، ٢٠٢١/١/٢٦ م .

* جوبيتير : هو ملك الآلهة الرومانية وإله السماء والبرق في الميثولوجيا الرومانية ، ويعد مناظراً لزيوس في الميثولوجيا الإغريقية . ينظر: جوبيتير (أسطورة)- المعرفة ، <https://www.marefa.org> .

(٢) ينظر: البرق والرعد حكايات وأساطير، رشا المالح، صحيفة البيان ١/٩/٢٠١١ م ،

<https://www.albayan.ae> .

(٣) الأعمال الشعرية الكاملة : ١٥٩ .

على العصافير ، أحال ظهري
عمود ملح أو عمود جمر ،
أحرّك الأطراف لا تطيعني مشلوله ،
مات الدم الفوّار فيها ، أطفئ الشباب ،
وأمتد نحو القبر درّب ، باب
من خشب الصليب : فالمسيح
مات ، وفي الطوفان ظل نوح .
وأغضيت نواظري الذليله ..
لعلها تعتاد من دجاها
على دجى غطاؤها الضريح .

فمن عتبة العنوان نجد أن الشاعر قد استعان برمز (أيوب) - الموظف أكثر من مرة في نصوصه الشعرية - لما بينهما من أمور مشتركة ، ولاسيما معاناتهما مع المرض ، ولكن استعانتها به هنا جاءت من دون جدوى ، إذ فالموت قد أتى السياب بسرعة الباشق* بدلالة قوله: (وانخطف الموت عليّ كانخطف الباشق) ، وأحال ظهره إلى عمود ملح ، إذ شبه حاله بحال امرأة لوط التي تحولت إلى عمود ملح* ، ، وكذا السياب الذي تحول ظهره إلى عمود ملح أو عمود جمر ، فلا يستطيع أن يفعل شيئاً حياله ، فأطرافه أصبحت مشلولة ، ومات الدم الفوار فيها بمعنى انسحاب الروح من جسده ، وقد أطفئت زهرة شبابه جراء مرضه ، وستكون نهايته إلى القبر لا محالة بدلالة قوله: (وامتد نحو القبر درّب ، باب من خشب الصليب: فالمسيح مات)، فهنا يشبه نفسه بالمسيح ، ويستسلم للموت بهدوء كما استسلم المسيح للصليب - حسب وصفه - ولما كان خشب الصليب آلة شنق المسيح ، فالخشب هنا مثل آلة للموت عند السياب أيضا فمن ذلك الخشب يصنع التابوت ، ومن الخشب أيضا صنعت سفينة نوح (عليه السلام) ، فكان وسيلة الإنقاذ وآلته للتخلص من خطر الطوفان ، بيد أن السياب قلب هذه الدلالة إلى الضد تماما لأن نوح (السياب) ظل في الطوفان وضاع في التيه ، وآلته أشد وأصعب من الموت ذاته لأنه يفوق تخارج الذات بالموت ، إذ التيه لا نهاية له ، لذا أنهى هذا المشهد أسدل الستار بمأساوية عبر

* الباشق: هو نوع من البازي ، من فصيلة العقاب النسرية ، وهو من الجوارح يشبه الصقر ، ويتميز بجسم طويل ومنقار قصير بادئ التقوس . ينظر: المعجم الوسيط : ١ / ٥٨ . مادة بشق .

* فبعث الله على لوط ملكين لكي يخرجوه من مدينة سدوم التي غضب الله عليها بسبب أفعال قومها السيئة وعصيانهم لله ، فخرج لوط وعائلته ، ونبه أحد الملكين إلى عدم النظر إلى وراء ، فلم ينظروا إلا امرأة لوط ، فتحولت إلى عمود ملح بسبب عصيانها لله ، وانخطف الموت عليها . ينظر: الكتاب المقدس - سفر التكوين ، الإصحاح الأول : ١٨ - ١٩ .

غض نواظره الذليلة المتعبة من عتمة التيه إلى عتمة الضريح (القبر) وكأنه الداخل/ الخارج منه
وإليه . إذ يختم القصيدة قائلاً^(١):

لأنني مريضٌ

أودع الحياة أو أشدّ بالحياة

بخيطه الموروث عن أموات

لم يدفع الشَّعْرُ مناياهم وقد

جاءت إليهم غيله! .

نجد في هذا المقطع قمة استسلام السياب للموت وتوديعه للحياة ، فلا شعره الذي يحتفي به
أفاده ليدفع عنه المنايا فحاله كحال من سبقوه من الأموات ، وما بال خيط الحياة الهزيل
الموروث عنهم بمنجبه فغيلة الموت أسبق من أي شيء .

٢ - الإقبال على الموت :

لا يأتي الإقبال على الموت إلا بدوافع كبيرة ترج النفس رجاً قوياً أليماً وتدفع الإنسان إلى أن
يتمنى الموت ، إذ سيكون -حسب رؤية السياب - هو الخلاص من الألم أو من الذل أو الفقر
أو غير ذلك مما يكسر الذات الإنسانية ويحطمها ويجعلها تبحث عن حياة أخرى عبر بوابة
الموت ، ولا بد لنا من الإشارة إلى أن الموروث الديني له شأن كبير في إنضاج من مثل هذه
الفكرة ولاسيما وجود حياة أخرى بعد الموت ، وهذا الأمر غير بعيد عن تفكير السياب ، " ولكن
أن يتعب الإنسان من الحياة ويحس بعدم جدواها فيريد الموت شيء ، وأن يشرع بالموت - أو
على الأصح الرغبة في الخلاص - شيء آخر ، صحيح أن السياب سئم الحياة ، ولكنه لم يسأم
إلا الحياة التعسة ، حياة المرض والفقر والألم ، أما الحياة السوية - أو الحياة العادية على الأقل
فكان السياب يحبها " ^(٢) ، ومن ذلك الإقبال على الموت قوله في قصيدة (شباك وبيعة ٢) ^(٣) :

ولو كان ما بيننا محض باب

لألقيت نفسي لديك

وحَدِّقت في ناظريك .

هو الموت والعالم الأسفل

هو المستحيل الذي يُذهل .

(١) الأعمال الشعرية الكاملة : ١٦٠ .

(٢) السياب والموت : ٤٦ .

(٣) الأعمال الشعرية الكاملة : ٩١ .

يقدم السياب وصفا دقيقا للموت وما فيه من عوالم غريبة مجهولة ، إذ لا يمكن تصورها لاستحالتها عقلا ومنطقا إلا إننا نراه مقبلا عليه مقتنعا به لأنه العالم الذي يحتضن حبيبته وفيقة ، فهو يخاطبها ويؤكد بأنه مؤمن بالموت لكنه لا يتمكن من الوصول إليها لعدم انقضاء أجله بعد ، هو " يتمنى أن ما بينه وبين وفيقة محض باب ، ولكن هيهات - للموت أن يكون مجرد باب بين عالمي الأموات والأحياء - وإلا كان السياب أول من ألقى بنفسه ليصل لحبيبته الغائبة الحاضرة ، وهذا الأمر لما يحصل بعد ، لأن لو : حرف امتناع لامتناع ، إذ امتنع الجواب لامتناع الشرط رغبة منه في التحديق بناظري وفيقة لأنها ملاذه الآمن ^(١) ، وجاء إقبال السياب على الموت جاء بناء على إيمانه بفكرة الموت وحتميته ، مما يعضد ذلك أيضاً اختتام قصيدته بقوله ^(٢):

وهيهات أن ترجعي من سفار

وهل ميت من سفار يعود

فلقوة الموت وسطوته وجبروته فإن من يتخطفه لن يعود البته.

ولعل ما جعل الشاعر يقبل على الموت هو ألم المرض والبعد عن الأهل وقرب فقد الأحبة ، وصراعه بين تخاذله عن العناية بأولاده وعذره في مرضه ، فهو الذي يقبل على الموت وليس الموت يأتي إليه، وهنا كسر لأفق التوقع لاسيما أنه من سيطرق الباب على الموت للخلاص من العذاب ومن المعاناة التي يعيشها مع المرض، إذ يقول في المقطع الثاني من قصيدة (أسمعه يبكي) ^(٣):

سأطرقُ البابَ على الموت في دهليز مستشفى

في البرد والظلماء والصمتِ ،

سأطرق الباب على الموتِ

في بُرْهَةٍ طال انتظاري بها في معبر من دماء

وأرسلُ الطرفا

فلا أرى إلا الدجى والخُواء .

ويا ويلتي أن يفتح البابُ

(١) الذاكرة وأثرها في شعر بدر شاكر السياب قصيدة شباك وفيقة ٢ أنموذجاً ، أ.م.د. وسن عبدالغني مال الله المختار ، مجلة سُر من رأى للدراسات الإنسانية ، جامعة سامراء ، كلية التربية ، مج ١٧ ، ٢٦٦ ، السنة ١٦ ، لسنة ٢٠٢١ م : ٢٥٩ .

(٢) الأعمال الشعرية الكاملة: ٩٢ .

(٣) الأعمال الشعرية الكاملة: ١٦٦ .

فهو على الرغم من إقباله على الموت ومحاولة اقتحامه وطرق بابيه إلا أنه يبقى رهينة الأسئلة المحيرة أمام هيبة الموت وجبروته ، ويتجلى ذلك واضحاً باستعماله لمفردة الندب بالويل (يا ويلي) الذي يدل على عمق الخوف والتوجس من المجهول عندما يفتح الباب ، فالشاعر في إقباله على الموت مكره لا بطل ، إذ يقول في المقطع الأخير من القصيدة نفسها (١):

يا ويلتي إن يُفتح البابُ

فأبصر الأموات من فرجته

يدعوني : "مالك ترتابُ

بالموت ؟ في هجعته

ما يغدل الدنيا وما فيها :

دفع ، نُعاس ، خدرٌ وارتخاء ! "

أوشكُ أن أعبر في بزخٍ من جامدات الدماء

تمتد نحوي كُفُّها ، كف أمي بين أهليها :

" لا مال في الموت ، ولا فيه داء ! "

ثم تسد البابُ كفُّ الطبيب

تجرح في جسمي ،

وهاتفاً باسمي

أسمع صوتاً ناعساً ، قد أجيبُ

فيُهزم الموتُ على صوتي ،

وربما استسلمتُ للموت !

فهنا الشاعر يقدم مشهداً شعرياً مونتاجياً للحظة فتح باب الموت !! ، فما أغربها من لحظة ، لخصها في هذه الأبيات وبدأها بالويل لهول ما تصور رؤيته من عوالم خفية كشفت حجبها للمريض ، وهو في سكرات مرضه ، لأنه يلهم البصر الثاقب والبصيرة الفذة قبل الموت كما جاء في قوله تعالى : **چگ گب چگ** (٢) ، فهو يتحدث في " سياق النص عن الموت والبرزخ الذي يراه السياب متكوناً من الدماء الجامدة بعد أن قدم الصفة (الجامدات) على الموصوف (الدماء) ليزيد من الانتباه إليها ، وجمود الدم يدل على كثرتة ، ثم يستعير كفاً للدماء تمتد نحوه مقترنة بكف أمه الميتة " (٣) ، وينفي المال والداء عن الموت ، لأنهما من مظاهر

(١) م. ن : ١٦٦ - ١٦٧ .

(٢) سورة ق : من الآية ٢٢ .

(٣) الإنزياح في شعر السياب ، سعدون محسن إسماعيل الحديثي : ٥٦ .

الأحياء ، فهو عندما يذهب للموت سيتخلص من كل شيء ، ثم تسد الباب كف الطبيب " فليس لغلاق الباب أو فتحه دلالة ثانوية لو كانت الحالة اعتيادية أو مختلفة عن حالة السياب ، لكن مع حالته الوضع مختلف ، إذ يكون سد الباب مثيراً للاهتمام، فهو يعني سد باب الأمل بالحياة بوجه مريض أعياه الفقر والداء" (١) ، ولذا فهو مقبل على الموت بسبب المعاناة التي يعيشها ، فلا شيء يدعو للحياة، فلا شيء سوى الموت .

وهو يذكر في المقطع الأول من قصيدته هذه المعاناة التي أدت به إلى الإقبال على الموت إذ يقول (٢):

أسمُعه يبكي، يناديني
في ليلي المستوحد القارس ،
يدعو: " أبي كيف تخليني
وحدي بلا حارس ؟" .
غيلان لم أهجرك عن قصد ..
الداء يا غيلان أقصاني .
إني لأبكي ، مثلما أنت تبكي ، في الدجى وحدي
ويستثير الليل أحزاني .
فكلما مرّ نهارٌ وجاء
ليلٌ من البردِ ،
ألفيتني أحسب ما ظلّ في جِبي من النقد:
أيشترى هذا القليلُ الشفاء ؟

فهذه القصيدة تعد من القصائد التي كتبها الشاعر وبين لنا رؤيته تجاه الموت من خلالها، ذلك لأنها تضم مسألتين في آن واحد: الأولى، معاناة الشاعر مع المرض ، والثانية الإقبال على الموت ، ففي المقطع الأول من القصيدة يصف الشاعر معاناته مع المرض بحواره بينه مع ولده البعيد عنه (غيلان) ، فيؤكد له أنه لم يهجره عن قصد، إنما الداء الذي استفحل به هو من أبعد وأقصاه عنه ، وعن ووطنه ومحبيه ، فهو يعيش غربة قاسية وكل ما حوله يستثير أحزانه ، فديده ليل نهار يحسب النقد في جيبه ويتساءل بصيغة الاستفهام الإنكاري، هل يستطيع شراء الشفاء بهذه النقود القليلة؟ خلاصا من غربته القاسية، ويطلعنا الشاعر عما فيه من قلق وخوف

(١) م. ن : ٥٦ - ٥٧ .

(٢) الأعمال الشعرية الكاملة: ١٦٦ .

وربية في ظل المعاناة التي يعيشها (١) ، إذ " تصطبغ أدوات الاستفهام للدلالة على الحيرة، والقلق، والتوتر، والتطلع، والمعاناة ، وتنوع طبيعة السؤال من وحدة إلى أخرى ؛ هي في جملتها تتضافر لتبلور هذه الحيرة النفسية ، وهذا البركان من القلق الدفين في نفس الشخصية الشعرية" (٢).

وإذا ما أتينا إلى قصيدته (درم) التي يقول في مطلعها (٣):
دَرَمٌ ..

بنفسي مما عراني بَرَمٌ
فمدي ذراعيك ولتحضنيني

إلى هوة من ظلام العدم ،
فما قيمة العمر أقضيه أمشي
بعكازة في دروب الهَرَمِ ؟

ففيما نتقدم نجد أن الشاعر يقبل على الموت بصورة واضحة ، فهو يطلب من الحبيبة - وربما هي وفيقة أو أمه أو جدته - أن تأخذه إلى عالمها ، عالم الموت والعدم ، فهو يتساءل بينه وبين نفسه ما قيمة هذا العمر الذي يقضيه بعكازة في دروب الهرم وهو ما زال شاباً! ولكن استشرافه لهذا الموت وإقباله عليه يأتي مشفوعاً بتمنيه بين أحضان الطبيعة وجمالها أرضاً واستقرار روحه في الجنان سماء ، إذ يقول (٤) :

درم ..

تمنيت لو مت بين الثلوج
على جدول جمده النسم ،
فروحي تجوب المروج
وتأوي إلى رمّة في الظلم .

كما إن الشاعر يلوذ بالله وقدرته على نحو إيماني واضح ويقبل عليه سبحانه ؛ لأنه ملاذه الآمن، وموته بيده تعالى، وهو وحده من سيتولاه بعد الموت، لذا أعطى للقصيدة عنواناً عن

(١) ينظر: القصيدة المركزة ووحدة التشكيل دراسة فنية في شعر الستينات في العراق ، علي صليبي محمد المرسومي: ١٠٠.

(٢) بنية القصيدة عند حميد سعيد ، دراسة سيميائية تفكيكية لقصيدة يا جارة الدم والدمار ، عبدالمك مرتاض ، مجلة الأقاليم، بغداد ، ع ٥ ، لسنة ١٩٩٠م : ٣٧ .

(٣) الأعمال الشعرية الكاملة: ١٦٧ .

(٤) الأعمال الشعرية الكاملة: ١٦٨ .

الضراعة (أمام باب الله) ليختمها بنداء وصرخة كبيرة ليطلب الموت صريحاً هذه المرة ممن يملكه سبحانه قائلاً في ذلك^(١) :
" أريد أن أموت يا إله ! "

وهذا الإحساس بقرب الموت جعله ينسجم حتى مع الخرافات ما دام الموت فيها يتصدر مشهدها ؛ ففي قصيدة (نبوءة ورؤيا) الشاعر استفاد من نبوءة العراف الهندي الذي تنبأ بأن الحياة على الأرض ستنتهي يوم ٢ شباط سنة ١٩٦٢م ، ليؤكد لنا أن نهايته قد اقتربت كثيراً وأنه مقبل على الموت باختياره إذ يقول^(٢) :

هتفت بها : " غداً سنموت . فانهمري على البشر :
لأهون أن أمو لديك وحدي دون حشرجة ولا أنه
من القدر المروع يجرف الأحياء بالآلاف ."
ولكني أصيخ إلى النهار فأسمع العراف
يهدد : " سوف يهلك من عليها ، سوف تلتهب .
وتسرب في دمي جنه .

وحين رقدت أمس رأيت في ظلموت أحلامي
رؤى تتلاحق الانفاس منها ثم تنقطع
أفقت وما تزال تضيء في خلدي وتندلع
كما يتفجر البركان في ظلمات ليل دون انسام ،
بلا قمر وأن يك في المحاق أكاد أقتلع
أكاد أمزق الدم في عروقي بارتعادة روعي الحيري ..
أكاد اعانق القبرا .

فهو يقر بحتمية الموت بدلالة غداً سنموت ، لكنه يفضل الموت من دون حشرجة ولا أنه بدل الوفاة بالقدر المروع الذي يجرف آلاف الأحياء ، فكلما تذكر نبوءة العراف بأن العالم سينتهي فتلاحقه الكوابيس المرعبة ليرى نهايته الحتمية ، ويعانق القبر ، والعناق دلالة على الحب الشديد، فهو يعانق مصيره الذي سيخلصه من ألمه وأوجاعه .

٣- مواجهة الموت :

(١) م . ن : ٩٧ - ١٠٠ .

(٢) م . ن : ١١١ .

على الرغم من أن الموت واقعة حتمية لكل إنسان خلقه الله على هذه البسيطة فهو " حقيقة لا تتغير أبداً ، ويشكل خاتمة الحياة ، والوجود المادي ، وما هو معروف ومدرك " (١) ، إذ يقول لاندسيرج " أن الوعي بالموت يمضي جنباً إلى جنب مع الاتجاه الإنساني نحو الفردية ، ومع قيام الكيانات الفردية المتميزة " (٢) ، مما يعد شرطاً أولياً من شروط حتمية الموت ، أما الشرط الآخر ، فهو نشأة التفكير المنطقي ، إذ يقول شلر : " بقدر ما ينبغي علينا أن نعزو لكل حياة شكلاً من أشكال الوعي ينبغي علينا أن نعزو لها أيضاً ضرباً من اليقين الحدسي بالموت " (٣) ، ولكن تعاطي المبدعين معه جاء مختلفاً كلياً ، فقد رأينا فيما سبق من هذا المحور كيف تعاطى شاعرنا مع الموت مرة مستسلماً له ، ومرة مقبلاً عليه ، وقد يكون هذان السبيلان مشتركين بين البشر ولكن بحساسية مختلفة بالتأكيد ، ولكن أن يواجه الإنسان الموت من غير خوف ؛ فذلك هو منهج المبدعين المتميزين من البشر ، وأعني بالمبدعين لهذا الغرض كل إنسان مختلف شاعراً كان أم كاتباً ، أم فيلسوفاً ، أم عالماً ، أم فنانياً ، أم فارساً ، ... إلخ .

ويكاد الشاعر (بدر شاكر السياب) يتربع على هذا العرش بين الشعراء العرب المعاصرين ف " فضاء الموت موشوم بفردية الذات الكاتبة " (٤) ، إذ يقول في (سفر أيوب ٩) (٥) :

أيّ سلاح ؟ آه ، أيّ ساعدٍ ؟
أيّة أزهار تمدُّ فاها
لتأكل الموت ؟ وأيّ ناصرٍ مساعدٍ ؟
سللتُ من قصائدي
سينفاً كأن البرقَ حدادُ رمى أصوله
وصبّ مقبضاً له وشفره .
بالشعر ، بالمبرق ، بالمجلجل المدوي
رميتُ وجه يهوي نحوي
كأنه الستار في رواية هزيله ،
رميتُ وجه الموت ألف مرّه
إذا أطلّ وجهه البغيضُ
كأنه السيرين ، يسعى جسمي المريضُ

(١) الشعر كيف نفهمه و نتذوقه ، اليزابيت دور ، تر : محمد إبراهيم الشوش : ١٤٩ .

(٢) الموت في الفكر الغربي : ١٩ .

(٣) م . ن : ٢٠ .

(٤) الشعر العربي الحديث بنياته وإبدالاتها ، محمد بنيس : ٣ / ٢١٤ .

(٥) الأعمال الشعرية الكاملة : ١٥٩ - ١٦٠ .

نحو ذراعِيه بلا تردد
فأنتضي من سيفي المجرد ،
ويقطر الشعر ولا يغيضُ ،
لأنني مريضُ
أودع الحياة أو أشدّ بالحياة
بخيطه الموروث عن أموات
لم يدفع الشّعْرُ مناياهم وقد

جاءت إليهم غيله !

لقد واجه السياب فكرة الموت بفكرة الخلود كما فعل (جلجامش)* ، ولا غرابة في ذلك ، إذ إن منبت كليهما طين العراق ، وارتوى كلاهما بمياه الرافدين المقدسة فـ" كلاهما خائف من الموت، فالأول تكرست صورة الموت عنده بفقدان أمه ، والآخر بفقدان صديقه إنكيديو، وكأن الأرض التي أنجبتهما لم تلد سوى الخوف - وإن كانت طبيعة - وكأن الأرض التي أنجبتهما ليست سوى محفز للبحث عن سر الخلود " (١) .

وعندما أدرك جلجامش أن خلوده الفيزيائي مستحيلًا ؛ لأنه مدرك لحتمية الموت والمصير الذي لا مفر منه، لذا وجه جهده للخلود بأعماله، فهي من ستخلده بعد موته، ولاسيما إعمار سور (أورك)، فما يبقى بعد الإنسان سيخلد ذكره الحسن حتمًا (٢)، والسياب أيضاً قد أدرك أن الموت يقترب منه سريعاً، ولم يبقَ بينه وعناق الموت إلا زمن قصير ، إذ إن فكرة مواجهة الموت لا تعني رفضه البتة ، وإنما تعني أن الإيمان بحتمية الموت واقعة لا محالة فيها ، وإنما الإنسان يحاول أن يوجه خلوده إلى الذكر الحسن أو الخلود القولي عبر الشعر، أو عبر فكرة العقب أي الأُولاد - فمن كان له ذرية لم يمت- حسب المعتقد الموروث لدينا ، والسياب أراد الخلود القولي هنا، فانكب على نظم الشعر في سنوات عمره الأخيرة، إذ صار يكتب كل يوم قصيدة وأحياناً أخرى قصيدتين- دلنا على ذلك تأريخ قصائده- فهو لم يواجه الموت بغزارة شعره حسب، بل

* جلجامش : هو ملك أسطوري تاريخي لدولة الوركاء السومرية ، وبطل مهم في ميثولوجيا بلاد الرافدين القديمة، كان ثلثاه إلهاً وثلثه الآخر آدمياً ، وهو من نسل شمس نيشتن ، المخلوق الخالد الوحيد الذي نجا من الطوفان ، ولم يكن أحد يشبهه بصورته ، ورؤيته جميع الأشياء ولو كانت في أطراف العالم المجهول، فقد كان جباراً مخيفاً لم يفقه أحد في قوته ، لا في طوله ، ولا في عرضه ول في مشيته . ينظر : معجم ديانات وأساطير العالم، إمام عبدالفتاح إمام : ٣٥/٢ . وينظر : أحلى الأساطير العالمية ، خليل حنا تادرس : ١٥٩ .

(١) ينظر: الموت والخلود في شعر السياب ، قيوم ميلود ، حوليات جامعة قلمة للغات والآداب ، الجزائر ، ع ١٠ ، حزيران لسنة ٢٠١٥ م : ٣٥٧ .

(٢) ينظر : ملحمة جلجامش ، طه باقر : ١٥١ .

جسد في ثنايا قصائده موقفاً وجودياً حيال الموت في أكثر من مكان ، فهو يجعل من شعره سيفاً يصارع به الموت، بدلالة (سللت من قصائدي سيفاً ، كأن البرق حداد رمى أصوله،... بالشعر بالمبرق بالمجلجل المدوي، رميت وجه يهوي نحوي)، أي: رمى وجه الموت البغيض بشعره الذي سيخلده بعد الموت، فكان ذلك الشعر لعظمته وفعله الخلاق جزءاً من البرق وشدة لمعانه، فصب أصوله ليكون السيف بشفرته الحادة ومقبضه القوي وجلجلته وهو يحصد الأعناق؛ ولكن هذه المرة يشهر السيف الشعري بوجه الموت ليعلن انتصار الشاعر عليه، وهذا مكنن المواجهة والخلود الذاتي للسياب .

ومن ذلك أيضاً ما نرصده للشاعر، إذ يتعجر القلق عنده فتتنازع في أحاسيسه كل المتناقضات، إذ يقول في قصيدة (سفر أيوب ١٠) (١):

وأنت يا شاعرَ واديك ، أما تؤوب

من سفرٍ يطول في البطاخ ،

تراقص النَّهْرُ

وتلثم المَطْرَ ؟

أما سمعت هاتف الرواح ؟:

" خامٌ وزنبيلٌ من التراب

وآخر العمر ردى". ويطلع القمر .

فأبرق ، أرعد ، أرسل المطر

قصائدَ احتوى مداها دائرة العُمُر ،

يا غيمةً في أول الصباح ،

يا شاعراً يهم بالرواح ،

وودّع القمر!

فهو على الرغم من اعترافه بالموت وجبروته وإنه لم يبقَ من الحياة شيء سوى الخام(الكفن)، وزنبيل من التراب من (حفرة القبر)، ؛ لأن آخر العمر عنده الردى وفي ذلك إقرار بحتمية الموت والاستسلام له بدلالة (يا شاعراً يهم بالرواح) ؛ لكنه واجه حقيقة موته بقوله: (ويطلع القمر)، فهو يقصد بحسب رؤيته بأنه سوف يخرج ويتصدى الموت بعنفوان الرعد والبرق والمطر كجوبيتير من خلال قصائده التي ما خاب حدسه فيها بأنها سوف تنصره على الموت ليعيش خالداً بيننا بدلالة (أبرق، وأرعد، وأرسل المطر) إشارة إلى قصائده التي يحتوي مداها دائرة

(١) الأعمال الشعرية الكاملة : ١٦١ .

العمر كله ، فالخلود الذي يقصده الشاعر هنا هو الخلود على المستوى القولي أي: (أنا أفعل فأنا موجود) من خلال كتابة القصيدة ، فكما تمكن الشاعر من نظم قصيدة فهو خالد وموجود بيننا. والذي نجده أن الشاعر يحفر عميقاً في التعاطي مع الموت قائلاً في قصيدته(قصيدة من درم) ^(١) :

أظلاً ما يُقال

في نفس شاعرٍ يموتُ عمره، يُبعثُ
ويُقبرُ ؟

يمشي على عكازةٍ ويعثرُ ،

أيامه إلى رداه سَفَرُ ،

وعيشه انسلالُ

عَبْرَ جدار الموت ما يزالُ ؟

شاء الردى، حاول أن يُريده ،

لكنَّ وحشاً ضارياً يُزجرُ

في كهفه، وحيّةً من بابلٍ التليده-

يطير نحو الموت منه شرر ،

تفحُّ في وجه الردى وتصفُرُ ،

فيكتب القصيده

يريد أن يجدد البقاء، أن يُعيده ،

أن يهدي القوافل الشريده

فلا تتية في صحارى العدم .

بقبره في درم .

من درم أكتبها قصيده

كالنجم ضلّ في سديم العدم .

يقدم الشاعر مشهداً درامياً عن رؤيته لحقيقة الموت، إذ إن الموت حتمي للجميع، ولشاعر في مثل حاله من الضعف والمرض بدلالة الالفاظ (يموتُ عمره، ويُبعثُ ،ويُقبرُ يمشي على عكازةٍ ويعثرُ، وأيامه إلى رداه سَفَرُ)، وتتداخل لديه صور الحياة والموت في جدلية صراع أبدي، إذ إن حياته تنسل انسلالاً عبر جدار الموت ، إذ رسم لنا صورة عبقرية تَوَطَّرها نار الحزن وتلونها نار الألم ، لكنه يستعين بالقصيدة ليطرد الموت، فالقصيدة هي سحر الخلود لديه، إذ

(١) الأعمال الشعرية الكاملة : ١٦٩ .

يشبه نفسه بالوحش الضاري الذي يزمجر في وجه الموت من كهفه، ثم يأتي بالتوظيف الأسطوري لحية بابل تلك الأفعى التي أكلت عشب جلامش عندما كان يبحث عن الخلود، فعلم أنه سيموت لا محالة^(١) - كما تقدم آنفاً - فالسياب كذلك شبه نفسه بالوحش الأسطوري عبر التشبيه البليغ ليعلم أنه قادر على أن يهزم الموت ويخلد بكتابة القصيدة، فكتابة القصيدة هنا رد فعل لاقترب الموت منه فيواجهه بكتابتها ليسطر في سفر الخلود عبر قصائده وقوافيه ليهدي بها القوافل الشريفة في دروب الإبداع الشعري، فهي كالنجم في السماء التي تهدي تلك القوافل كي لا تتيه في صحراء العدم ، ويؤكد ذلك في نهاية القصيدة بقوله: (من درم أكتبها قصيدة كالنجم) ، فشبها مرة أخرى بالنجم في سديم العدم .

وتستمر مواجهته للموت ، فيطلق عنواناً لقصيدته (القصيدة والعنقاء) ، وليس هذا التواضع عبثاً عندما تقترن القصيدة بالكائن الأسطوري (العنقاء) * العصي على الموت، الذي ينبعث من الرماد وتتجدد حياته، إذ يقول في هذه القصيدة^(٢) :

جنازتي في الغرفة الجديدة

تهتف بي أن أكتب القصيدة ،

فأكتبُ

ما في دمي وأشطبُ

حتى تلينَ الفكرة العنيدة .

فالشاعر ينتفض في وجه الموت، ويكتب حتى وهو في مراسيم جنازته وتشيعه ، وما أبلغ هذه الصورة فكيف لجنازته أن تهتف فيه ليكتب القصيدة؟ فهي دلالة على أن ولادة القصيدة أصعب من الجنازة؛ لأنه يكتبها بدمه ويشطب ما لا يراه مناسباً وما أبلغ وصفه للفكرة ووسمها بالعنيدة التي لا تلين له ولا تنصاع لإرادة الشاعر ؛ فهو يكتب بمشقة بالغة قصيدة تخلده مهما كانت عصية عنيدة، وولادة القصيدة مع الجنازة نعني بأن الشعر قائم لا يموت بموت الشاعر ، فالرماد المحترق ليس إشارة للعنقاء فقط بل أن القصيدة بعض روحه المنبعثة وأنقاضها المتهالكة

(١) ينظر : ملحمة جلامش : ١٤٩ .

* العنقاء : طائر خرافي بحجم العقاب أو النسر ذو ريش ذهبي قرمزي ، يظهر في أساطير العالم ، وكان المصريون القدماء يزعمون أنه يعمر خمسة قرون أو ستة قرون ، وأنه ما يستشعر دنو الأجل حتى يبني عشاً من أغصان وتوابل ، ويضرم فيها النار محرقاً نفسه ، لكنه ينبعث بعد ذلك من الرماد وهو أتم ما يكون شباباً وجماً . ينظر : معجم ديانات وأساطير العالم : ٣ / ١٢٧ .

(٢) الأعمال الشعرية الكاملة : ١٧٣ .

من المرض والتفكير في بناء القصيدة المتكاملة، وينتهي المقطع بأبيات يقول فيها عن القصيدة العنقاء^(١) :

وهكذا الشاعر حين يكتب القصيده
فلا يراها بالخلود تنبؤ،
سيهدم الذي بني، يقوض
أحجارها ثم يمل الصمت والسكونا
وحين تأتي فكرة جديده ،
يسحبها مثل دثار يحجب العيوننا
فلا ترى . إن شاء أن يكونا
فليهدم الماضي ، فالأشياء ليس تنهض
إلا على رمادها المحترق
منتثراً في الأفق ..
وتولد القصيده .

فالقصيدية ناتجة إذًا عن مخاض فكري عسير من الشاعر، إذ إن الرماد المحترق ليس إشارة للعنقاء فقط بل أن القصيدة بعض روحه المنبعثة وأناقضها المتهالكة من المرض والتفكير في بناء القصيدة المتكاملة، فالقصيدة عندما يكتبها السياب يقصد بها خلوده بعد أن يبني، ويقوض، ويعدل ، ويغير في الأفكار والرؤى والصياغة، لتولد القصيدة في النهاية ليواجه الموت بها أيضا كمن سابقها من القصائد آفة الذكر.

ومن أقوى الأسلحة التي واجه السياب بها الموت هو سلاح الإيمان في آخر مرحلة من حياته(المرحلة الذاتية)عندما كتب سفر أيوب ، فهو " عندما أعيى المرض به وكشر الموت له عن أنيابه انكفأ على ذاته وصار يستقي من الأساطير الدينية ما قد يحمل إليه العزاء ، وقد سميت هذه المرحلة من شعره عند بعض النقاد بالمرحلة الأيوبية، باعتبار أن السياب حاول أن يجد العزاء في التماهي بأيوب"^(٢) ، والإيمان لدى الشاعر قد يتشكل من الموروث الديني الذي نجده هنا وهناك بوصفه جزءاً من رؤية السياب لعناصر الصراع في الحياة ، وقد يكون الإيمان بوازع التربية الاجتماعية التي يختلط فيها السياسي بالأخلاقي والقيمي والتراثي وغير ذلك ، وجراح الشهيد المجاهد ترفرف بالحياة الجميلة بدلالة، (غداً ضاحكاً أطلعتاه الدماء)؛ ولكن الألم لا

(١) الأعمال الشعرية الكاملة : ١٧٤ .

(٢) اغتراب السياب بين الأم الغائبة والمرأة المستحيلة ، نوال ناجي يوسف ، الحوار المتمدن ، ٢٠١٤/٣/٥م،

يختفي عند هذا المشهد؛ لأن مقاومة الموت بفكرة الاستشهاد تبقى معنوية ، لذا فهو الفخر الذي ترفعه أعمدة الألم ، والغد المشرق الذي ترفع شمسه المعاناة والتضحيات، إذ يقول في قصيدة (ربيع الجزائر)^(١) :

بيوتك تبقى طوال المساء
مفتحة فيك أبوابها

لعل المجاهد بعد انطفاء اللهب وبعد النوى و العناء

يعود إلى الدار يدفن تحت الغطاء

جراحاً ، يفر إليه الصغار ترفرف أثوابها

يصيحون " بابا " فيفطر قلب المساء

- " وماذا حملت لنا من هدية ؟ "

- " غداً ضاحكاً أطلعت الدماء . "

ولا يفوت الشاعر في مواضع مختلفة أن يدعو الله (عز وجل) بروح مؤمنة بقضاء الله وقدره عله يجتاز ظلمة الموت وهيئات! فيستعين برمز النبي الصابر (أيوب) ، الذي يعد من أهم الشخصيات الدينية التي وظفها في شعره ولاسيما في مرحلة المرض^(٢) ، لأنه الرمز القرآني للنبي الذي ابتلاه الله بالمرض وشافاه منه ولهذا فهو لا يتلبس رمز (أيوب) إلا لمواجهة الموت بهذا الهاجس الإيماني، ويتمسك بالحياة برمز إيماني آخر هو النبي (نوح) (عليه السلام) وتوظيفه قائلاً في قصيدة (سفر أيوب ٤)^(٣) :

يا رب أيوب قد أعيا به الداء

في غربةٍ دونما مال ولا سكن ،

يدعوك في الدجن

يدعوك في ظلموتِ الموت : أعباءُ

نادَ الفؤاد بها ، فارحمه إن هتفا .

ما منجياً فلك نوح مزق السُدفا

عني. أعدني إلى داري إلى وطني !

(١) الأعمال الشعرية الكاملة : ١٤٦ .

(٢) ينظر: الرمز الأسطوري في شعر بدر شاكر السياب : ١٥٥ .

(٣) الأعمال الشعرية الكاملة : ١٥٣ .

وفي هذا المقطع وكما هو واضح يتضرع للباري أن يكشف عنه سدف الموت المحيط به من كل جانب ويتمنى العودة للأماكن الأثيرة لديه ولاسيما الدار والوطن بدلالة (أعدني) ؛لأنه وحده سبحانه القادر على ذلك، فهو لا يعدم وسيلة إلا استحضرها انتصاراً للحياة .

الخاتمة :

- ١- كشف البحث أن موقف السياب من الموت لا يخرج عن خطية الزمن ، وهذا ما أكدته نصوص الشاعر ، فحركة الزمن تسير نحو الموت .
- ٢- تباينت مواقف الفلاسفة ورؤاهم من الموت ، فالإنسان بطبيعته متناه وعابر وتكمن أهميته في تقبله لوضعه في مواجهته لحتمية موته ، كما ينظر للموت على أنه انعتاق النفس من الجسد ، أو هو انتقال من خلود العقل لأن العقل لا يفنى .
- ٣- كشف البحث أن موقف السياب من الموت لا يخرج عن مسلمة الإيمان بحتمية الموت إيماناً يقينياً قطعياً ، ولكنه يجد أن خلود الإنسان ودوام أثره في الحياة عبر شعره وخلوده القولي .
- ٤- كشف البحث في كثير من جوانبه عن تواشج ثنائيتين أساسيتين أولهما: اليأس من الحياة ، والاستسلام للموت خلاصاً من عذاباته الصحية ، وثانيها: التصدي للموت ومواجهته رغبة في الشفاء وممارسة أفعاله الحياتية والأمل في الانتصار على المرض .

ثبت المصادر والمراجع

أولاً - الكتب (المصادر والمراجع):

- أحدى الأساطير العالمية ، خليل حنا تادرس ، دار كتابنا للنشر ، بيروت ، لبنان ، (د. ط)، (د، ت) .
- الأسطورة في شعر السياب ، عبد الرضا علي ، منشورات وزارة الثقافة والفنون ، الجمهورية العراقية ، (د. ط) ، ١٩٧٨ م .
- الأعمال الشعرية الكاملة ، بدر شاكر السياب ، دار الحرية للطباعة والنشر ، بغداد ، ط ٤ ، ٢٠٠٨ م .
- الأعمال الشعرية الكاملة ، بدر شاكر السياب ، دار الحرية للطباعة والنشر ، بغداد ، ط ٤ ، ٢٠٠٨ م .
- الإنزياح في شعر السياب ، سعدون محسن إسماعيل الحديثي ، دار غيداء للنشر والتوزيع ، عمان ، الأردن ، ط ١ ، ١٤٤٠ هـ ، ٢٠١٩ م .
- تراجمديا الموت في الشعر المعاصر ، د. عبدالناصر هلال ، مركز الحضارة العربية ، مصر ، القاهرة ، ط ١ ، ٢٠٠٥ م .
- حقيقة الموت بين الفلسفة والدين ، د. محمد عبدالرحيم الزيني ، دار اليقين للنشر والتوزيع ، مصر ، المنصورة ، ط ١ ، ١٤٣٢ هـ ، ٢٠١١ م .
- الرمز الأسطوري في شعر السياب ، علي عبدالمعطي البطل ، الربيعان للنشر والتوزيع ، صفاة ، الكويت ، ط ١ ، ١٩٨٢ م .
- الشعر العربي الحديث بنياته وإبدالاتها ، محمد بنيس ، دار توبقال للنشر ، الدار البيضاء ، المغرب ، ط ٣ ، ٢٠٠١ م .
- الشعر كيف نفهمه ونتذوقه ، اليزابيت دور ، تر: محمد إبراهيم الشوش ، نشر بالاشتراك مع مؤسسة فرنكلين المساهمة للطباعة والنشر ، بيروت ، نيويورك ، (د. ط)، ١٩٦١ م .
- شوبنهاور ، عبدالرحمن بدوي ، دار القلم ، بيروت ، لبنان ، (د. ط) ، ١٩٤٢ م .
- فلسفة الموت والميلاد دراسة في شعر السياب ، عبدالرحمن عبدالسلام محمود ، المجمع الثقافي ، أبو ظبي ، الامارات العربية المتحدة ، (د. ط) ، ١٤٢٣ هـ ، ٢٠٠٣ م .
- القصيدة المركزة ووحدة التشكيل دراسة فنية في شعر الستينات في العراق ، علي صليبي محمد المرسومي ، دار غيداء للنشر والتوزيع ، الأردن ، د. ط ، ٢٠١٦ م .
- قضايا الشعر المعاصر ، نازك الملائكة ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ط ٦ ، آذار ١٩٨١ م .

- الكتاب المقدس - سفر التكوين ، دار الكتاب المقدس في الشرق الأوسط ، لبنان ، ١٩٩٣ ،
- ١٩٩٥ م .
- اللغة واللون، أحمد مختار عمر، عالم الكتب للنشر والتوزيع ، القاهرة ، ط٢ ، ١٩٩٧م.
- مدخل لدراسة الشعر العربي الحديث ، إبراهيم خليل، دار المسيرة للنشر والتوزيع، عمان ،
ط١ ، ٢٠٠٣ م .
- معجم الفلاسفة (الفلاسفة - المناطقة - المتكلمون - اللاهوتيون - المتصوفون)، جورج
طرابيشي ، دار الطليعة للطباعة والنشر ، بيروت، لبنان ، ط٣ ، ٢٠٠٦ م .
- المعجم الفلسفي ، د. مصطفى حسية ، دار أسامة للنشر والتوزيع ، الأردن - عمان ، ط١ ،
٢٠٠٩ م .
- المعجم المفهرس لمعاني القرآن العظيم ، محمد بسام رشدي الزين ، إشراف: محمد عدنان
سالم ، دار الفكر المعاصر ، بيروت ، لبنان ، ط١ ، ١٤١٦ هـ ، ١٩٩٥ م .
- المعجم الوسيط ، إبراهيم مصطفى وآخرون ، تح: مجمع اللغة العربية ، دار الدعوة ، (د.
ط)، (د. ت) .
- معجم ديانات وأساطير العالم، أ. د إمام عبدالفتاح إمام ، مكتبة مدبولي ، ٦ ميدان طلعت
حرب ، القاهرة (د. ط) ، (د. ت) .
- المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام ، د. جواد علي (ت ١٤٠٨ هـ) ، دار الساقى ، ط٤ ،
١٤٢٢ هـ ، ٢٠٠١ م .
- الموت في الشعر العربي الحديث ، أحمد بكري عصلة ، مركز المخطوطات والتراث
والوثائق، الكويت ، (د. ط) ، ٢٠٠٠ م .
- الموت في الفكر الغربي ، جاك ورن ، تر: يوسف حسن ، مراجعة د. إمام عبدالفتاح ، إمام،
المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب - الكويت ، (د. ط) ، ١٩٨٤ م .
- الموت والعبقريّة ، عبدالرحمن بدوي ، وكالة المطبوعات - الكويت ، دار القلم ، بيروت ،
لبنان ، (د. ط) ، ١٩٤٥ م .
- موسوعة الفلسفة ، عبدالرحمن بدوي ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ، ط١ ،
١٩٨٤ م .
- موسوعة مصطلحات الفلسفة عند العرب ، د.جيرار جهامي ، مكتبة لبنان ناشرون، (د. ط)،
(د. ت) .

ثانياً - البحوث المنشورة في الدوريات :

- بنية القصيد عند حميد سعيد ، دراسة سيميائية تفكيكية لقصيدة يا جارة الدم والدمار ، د.
عبدالملك مرتاض ، مجلة الأقلام، بغداد ، ع٥ ، ١٩٩٠ م .

- الذاكرة وأثرها في شعر بدر شاكر السياب قصيدة شباك وافية ٢ أنموذجاً ، أ. م. د وسن عبدالغني مال الله المختار ، مجلة سُر من رأى للدراسات الإنسانية، جامعة سامراء، كلية التربية ، مج ١٧ ، ع ٦٦ ، السنة ١٦ ، ٢٠٢١ م .
- السياب والموت ، سامي مهدي ، مجلة الآداب ، بيروت ، لبنان ، مج ١٣ ، ع ٤٤ ، ١٩٦٥ م .
- الموت والخلود في شعر السياب ، قيوم ميلود ، حوليات جامعة قلمة للغات والآداب ، الجزائر ، ع ١٠ ، ٢٠١٥ م .
- هايدجر والدين في اللغة والسكن إلى جوار الله ، ميرنا سامي ، مجلة الاستغراب ، المركز الإسلامي للدراسات الاستراتيجية ، بيروت ، لبنان ، ع ٥ ، ٢٠١٦ م .
- وجدان الليل وثقافة النهار قراءة في ديوان المعبد الغريق للشاعر بدر شاكر السياب ، أ.م. د. وسن عبدالغني مال الله المختار ، مجلة أبحاث البصرة للعلوم الإنسانية ، جامعة البصرة، ٢٠٢١ م .

ثالثاً - الرسائل الجامعية :

- ثنائية الحياة والموت في كتابات تيسير سبول ، أمينة خلف محارب القضاة ، رسالة ماجستير ، بإشراف أ. د. عبدالباسط مرشدة ، كلية الآداب والعلوم الإنسانية ، جامعة آل البيت، الأردن ، ٢٠١٧ م .
- دلالية الموت في الخطاب الشعري الجزائري المعاصر فترة التحولات ١٩٨٨ - ٢٠٠٠ ، حياة هروال، رسالة ماجستير ، بإشراف: د. جميلة قيسمون ، كلية الآداب واللغات ، قسم اللغة العربية وآدابها ، جامعة منتوري ، قسنطينة ، ٢٠٠٩ م .
- رابعاً - البحوث والمقالات المنشورة على الشبكة الدولية :
- اغتراب السياب بين الأم الغائبة والمرأة المستحيلة ، نوال ناجي يوسف ، الحوار المتمدن ، ٢٠١٤/٣/٥ م ، <https://m.ahewar.org> .
- البرق والرعد حكايات وأساطير ، رشا المالح ، صحيفة البيان ، ٢٠١١/١/٩ م ، <https://www.albayan.ae> .
- جدلية الحياة والموت في قصيدة رحل النهار لبدر شاكر السياب، د.عزيز بويغف ، مركز جيل البحث العلمي، ٢٠٢١/١/٢٦ م ، <https://jilrc.com> .
- جوبيتير (أسطورة) - المعرفة ، <https://www.marefa.org> .
- الموت بين الدين والفلسفة ، عاصف الخالدي ، ٢٠١٨ / ١٠ / ٤ م ، <https://www.hafryat.com> .